الخلافة الراشدة المفهوم والخصائص

إعداد
عبد الرحمن بن محمد بن علي الهرفي

مقدم لـ
«مؤتمر السابقون الأولون ومكانتهم لدى المسلمين
(الثالث) الخلافة الراشدة
والقيم الفكرية والحضارية»

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، القائل في محكم آياته: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1]، فكان من أهم وظائف الأنبياء تحقيق العدل، وإقامة الدين وسياسة أمور الأمة، وهي مهمة ولاة الأمور من بعدهم.

والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه وخاصة خلفاءه الراشدين والأئمة المهديين من بعده (أبا بكر وعمر وعثمان وعلي) وعن سائر الصحابة أجمعين.

أما بعد:

الأخ رئيس المؤتمر.

الأخوة أعضاء المؤتمر.. الأخوة الحضور جميعاً..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إنه لمما يشرح الصدر وتقر به العين أن ينعقد هذا المؤتمر في هذه الفترة التي اتسمت بمجريات متسارعة ومتغيرات متكاثرة متباينة، وهذا -لعمري- مما يزيد من أهمية المؤتمر، ومن مكانته.

وإنني أتشرف بالمشاركة في هذا المؤتمر بورقة عمل تحت عنوان (الخلافة الراشدة المفهوم والخصائص).

---

(١) سورة الحديد الآية (٢٥).

والجدير بالذكر أن موضوع المؤتمر حول الخلافة الراشدة يكتسب أهمية كبيرة حيث إنه يتطرق لمشكلة من أعظم المشكلات في تاريخ الأمة، فأول فتنة عصفت بالأمة؛ كانت على أيدي أعداء من الداخل، وقد اتخذوا الطعن في الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ الوسيلة الأولى لتقويض دعائم الدولة الإسلامية، وقد استقطبوا من عامة الناس ذوي الجهل والتسرع، وحققوا من خلالهم مآرب دنيئة، ولا زال هذا الداء مستشرياً في أمثالهم، وكما وجهوا طعنات الغدر والخيانة للرعيل الأول؛ هم اليوم يوجهون خناجر الفتن الطائفية، ومعاول الهدم والخرق لنسيج العقيدة الإسلامية..

إذاً؛ فمعرفة حق الخلفاء ومكانتهم تمثل صمام أمان للأمة.

ويأتي هذا المؤتمر في سياق بيان القيم الفكرية والحضارية لعصر الخلافة الراشدة.

وسأتطرق -بإيجاز- من خلال ورقة العمل -التي شرفتُ بالمشاركة بها- إلى العناصر التالية:

- لا يستقيم أمر الناس إلا بحاكم.
- أهمية الخلافة في حياة الناس.
- واجبات الخليفة تجاه شعبه.
- مفهوم الخلافة والخليفة.
- الخلافة لا تكون إلا برضا واختيار من الناس.

- الخليفة الراشد الخامس.
- سمات شخصية الخلفاء الراشدين.
- هل الخلافة الراشدة محصورة في زمن معين؟
- نظرة في حركة ابن الزبير
- المطلوب في الحكم حسن السياسة.
- أبرز الفروق بين الخلافة والملك.
- أسباب سقوط خلافة بني أمية
- هل يجب على المسلم السعي لإعادة الخلافة؟

لا يستقيم أمر الناس إلا بحاكم:

لابد للناس من حاكم قوي يحكمهم ويسير أمورهم، وإلا أكل بعضهم بعضًا، وفي ذلك يقول علي بن أبي طالب ﷺ: (لَا يُصْلِحُ النَّاسَ إِلَّا أَمِيرٌ بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ) قَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! هَذَا الْبَرُّ فَكَيْفَ بِالْفَاجِرِ؟ قَالَ: (إِنَّ الْفَاجِرَ يُؤَمِّنُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ السُّبُلَ، وَيُجَاهِدُ بِهِ الْعَدُوَّ، وَيَجْبِي بِهِ الْفَيْءَ، وَتُقَامُ بِهِ الْحُدُودُ، وَيُحَجُّ بِهِ الْبَيْتُ، وَيَعْبُدُ اللهَ فِيهِ الْمُسْلِمُ آمِنًا حَتَّى يَأْتِيَهُ أَجَلُهُ)[1].

أهمية الخلافة في حياة الناس:

قال أبو العباس ابن تيمية ﷺ: فالدين الحق لابد فيه من الكتاب الهادي، والسيف الناصر، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2] فالكتاب يبيّن ما أمر الله به وما نهى عنه والسيف ينصر ذلك ويؤيده[3].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (١٠/ ٥ رقم ٧١٠٢)، وجاءت عند ابن أبي شيبة في المصنف بلفظ مختلف (..أيها الناس، إنه لا يصلحكم إلا أمير بر أو فاجر، قالوا: هذا البر قد عرفناه، فما بال الفاجر؟ فقال: يعمل المؤمن ويملي للفاجر، ويبلغ الله الأجل، وتأمن سبلكم، وتقوم أسواقكم، ويقسم فيؤكم ويجاهد عدوكم ويؤخذ الضعيف من القوي أو قال: من الشديد منكم) (٧/ ٥٦٢ برقم٣٧٩٣١).

(٢) سورة الحديد الآية (٢٥).

(٣) منهاج السنة (١/ ٥٣٢- ٥٣٣).

وقال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله: وأما نفس الولاية والسلطان؛ فهو عبارة عن القدرة الحاصلة، ثم قد تحصل على وجه يحبه الله ورسوله، كسلطان الخلفاء الراشدين، وقد تحصل على وجه فيه معصية كسلطان الظالمين(١).

الحافظ ابنُ رجب رحمه الله: (وإنما وصف الخلفاء بالراشدين؛ لأنهم عرفوا الحقّ، وقضوا به، فالراشدُ ضد الغاوي، والغاوي مَنْ عرف الحق، وعمل بخلافه).

وفي رواية: (المهديين) يعني: أن الله يهديهم للحق، ولا يضلهم عنه، فالأقسام ثلاثة: راشدٌ وغاوٍ وضال، فالراشد عرف الحق واتبعه، والغاوي: عرفه ولم يتبعه، والضال: لم يعرفه بالكلية؛ فكل راشد فهو مهتدٍ، وكل مهتدٍ هداية تامة فهو راشد؛ لأن الهداية إنما تتم بمعرفة الحق والعمل به أيضا)(٢).

وأعظم خصائص الخلافة الراشدة (سيادة الشريعة)، وهذا ظاهر بالرجوع إلى سيرة هؤلاء الخلفاء الأربعة ي، وقبل ذلك الرسول ﷺ.

قال سعيد حليم باشا(٣): (إن هيكل النظام الاجتماعي في الإسلام بأكمله يرتكز على قاعدة أساسية هي حاكمية الشريعة.. وقاعدة حاكمية الشريعة تعني الاعتراف بحقيقة أساسية، هي أن كل موجود في الكون -أيًا كان نوعه وماهيته- خاضع لقانون طبيعي خاصٍّ به.. وعليه فإن الجانب الاجتماعي من حياة

(١) منهاج السنة (١/ ٥٣٠).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٦).

(٣) سعيد حليم باشا (١٨٦٣ - ١٩٢١) سياسي عثماني، حفيد محمد علي باشا مؤسس الأسرة العلوية بمصر، تولى منصب الصدارة العظمى (رئاسة الوزراء) من عام ١٩١٣ إلى عام ١٩١٦، وأثنى عليه الشيخ رشيد رضا في مجلة المنار عدد جمادى الآخرة ١٣٤٠هـ.

الإنسان خاضع لقوانين اجتماعية طبيعية، تمامًا مثل خضوع جانبه المادي لقوانين طبيعية مادية، وبذلك طبق الإسلام بنجاح مبدأ أن ليس للإنسان حاجة لأن يخضع لقانون يضعه بشر مثله؛ لأن ذلك القانون لابد أن يكون مستبدًا وجائرًا في بعض نواحيه، وإن كان قد صدر بالإرادة العامة للأغلبية؛ ولكن إنما عليه أن يخضع لإرادة الخالق المتمثلة في قوانينه الطبيعية الاجتماعية والمادية... فالمراد من تحكيم الشريعة: جعلها حاكمة في كل شيء، وليس مجرد إقامة الحدود، أو قصرها على المحاكم فقط، فهذا جزء من الشريعة، والمقصود جعل حياة الناس نابعة من الشريعة، وتعامله معهم راجع للشرع، ومما يراد بتحكيم الشريعة)[1]

وقال الدكتور عبدالرزاق السنهوري (روح التشريع الإسلامي يفترض أن السيادة بمعنى السلطة غير المحدودة لا يملكها أحد من البشر، فكل سلطة إنسانية محدودة بالحدود التي فرضها الله، فهو وحده صاحب السيادة العليا، ومالك الملك وإرادته هي شريعتنا التي لها السيادة في كل المجتمع، ومصدرها والتعبير عنها هو كلام الله المنزل في القرآن، وسنة رسوله المعصوم الملهم ثم إجماع الأمة» [2].

(١) في مقال لسعيد حليم باشا بعنوان: (إصلاح المجتمع المسلم)، انظر موقع: (موقع السودان الإسلامي).

(٢) فقه الخلافة وتطورها ص ٧٠.

واجبات الخليفة تجاه شعبه:

١ـ المحافظة على دين الله تعالى:

يجب على الحاكم أن يحافظ على دين الله، وأن يصونه ويرعاه بكل الوسائل، فإن اعتدى أحد على دين الله تعالى أدبَّه بما يستحق، ويزجره حتى يرتدع وينزجر هو وغيره من أصحاب النفوس المريضة، كما يقوم بحماية القانون الإسلامي الذي تحتكم إليه الدولة.

٢ـ المحافظة على الآداب العامة:

يجب على الحاكم أن يحافظ على الآداب العامة، فلا يترك أحدًا يجاهر بالمعصية، بل يؤدب المجاهرين بالمعاصي الخارجين على آداب المجتمع المعتدين على حريات الناس وإنسانيتهم، والحاكم إذ يقوم بذلك إنما يوفر الجو العام الطاهر العفيف النظيف الذي لا تُرى فيه المنكرات، ولا تُشَم لها رائحة.

٣ـ رعاية مصالح الأمة:

يجب على الحاكم أن ينهض بشعبه علميًّا وثقافيًّا وصناعيًّا وزراعيًّا واجتماعيًّا، إلى غير ذلك، وإنما يتحقق ذلك بالاستعانة بأصحاب الخبرات الأمناء الناصحين في كل تخصص؛ لتواكب الزيادة السكانية زيادة متوازية في موارد الدولة المتعددة في التعليم والبحث العلمي والصناعة والزراعة وغير ذلك؛ ليوفر لكل إنسان حياة كريمة يتحقق فيها الحد الأدنى الذي يحفظ للإنسان كرامته وإنسانيته، ويصون أفراد المجتمع من البطالة التي تؤدى بهم إلى اليأس والإحباط، الذي

يؤدي بدوره إلى فقدان الولاء، والانتماء للبلد الذي أهملهم، كما أن ذلك يؤدي إلى ارتفاع نسبة الجريمة في المجتمع، فكل يبحث لمشكلته عن حل[١].

فعلى الحاكم أن ينصح لرعيته بكل الوسائل، ويحفظ لهم أمر دينهم ودنياهم.

مفهوم الخلافة والخليفة:

أولاً معنى (الخلافة):

القلقشندي: الخلافة هي في الأصل مصدر خلف يقال خلفه في قومه يخلفه خلافة فهو خليفة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾[٢]، ثم اطلق في العرف العام على الزعامة العظمى، وهي الولاية العامة على كافة الأمة والقيام بأمورها والنهوض بأعبائها. قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث: (وهو من المصادر الدالة على معنى الكثرة، ومنه قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ لو أطيق الأذان مع الخلافة لأذنت يريد أنه مشتغل عن الأذان بكثرة اجتهاده في ضبط أمور الخلافة وتصريف أعنتها) وقد اختلف في لفظ الخليفة؛ فقيل: هو فعيل بمعنى مفعول -كجريح بمعنى مجروح، وقتيل بمعنى مقتول- ويكون المعنى أنه يخلفه من بعده، وعليه حمل قوله تعالى في حق آدم عليه السلام: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٣] على قول من قال: إن آدم

(١) واجب الحاكم العادل نحو رعيته -د: الخشوعي الخشوعي محمد - موقع- الجمعية الشرعية /http://alshareyah.com

(٢) سورة الأعراف الآية (١٤٢).

(٣) سورة الأعراف الآية (١٤٢).

أول من عمر الأرض وخلفه فيها بنوه بعده، وقيل: هو فعيل بمعنى فاعل - كعليم بمعنى عالم، وقدير بمعنى قادر- ويكون المعنى فيه أنه يخلف من بعده، وعليه حمل الآية السابقة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، من قال: إنه كان قبل آدم في الأرض الجن أو الملائكة وإنه خلفهم فيها واختاره أبو جعفر النحاس في كتابه صناعة الكتابة، وعليه اقتصر الماوردى في الأحكام السلطانية قال النحاس: وعليه خوطب أبو بكر ﷺ بخليفة رسول الله، وعلى ذلك ينطبق كلام البغوى في شرح السنة حيث سمي خليفة؛ لأنه خلف الماضي قبله، ثم قال النحاس: وإطلاق الخليفة على أمير المؤمنين يحتمل الوجهين جميعًا.

وأما من ينطلق عليه اسم الخليفة فقد ذهب جماعة من أئمة السلف - منهم أحمد بن حنبل ﷺ- إلى كراهة إطلاق اسم الخليفة على من بعد الحسن بن على ﷺ فيما حكاه النحاس وغيره محتجين بما رواه أبو داود والترمذي من حديث سفينة أن رسول الله ﷺ قال: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة..»[1]. والذي عليه العرف المشاع من صدر الإسلام وهلم جرا إطلاق اسم الخليفة على كل من قام بأمر المسلمين القيام العام على ما تقدم، إما ببيعه من أهل الحل والعقد، وإما بعهد ممن قبله.. إلا أن بعض السلف قد خصص ذلك بما إذا كان الإمام جاريًا على منهاج العدل وطريق الحق.

(١) أخرجه الإمام أحمد برقم: (٢١٩٢٧) وأخرجه الترمذي (٢٢٢٦)،وحسنه الارنؤوط.

روي أن أعرابيًا قال لأبي بكر ا: أنت خليفة رسول الله ﷺ قال: (لا)، قال: فما أنت؟ قال: (أنا الخالفة بعده) قال ابن الأثير: قال ذلك تواضعًا وهضمًا من نفسه حين قال له: أنت خليفة رسول الله ﷺ . أي أن الخليفة هو الذي يقوم مقام الذاهب ويسد مسده، والخالفة هو الذي لا غناء عنده ولا خير فيه. على أن البغوى قال في شرح السنة: إنه يسمى -يعني أي حاكم من حكام المسلمين- خليفة، وإن كان مخالفًا لسيرة أهل العدل.

وأما من تكون عنه الخلافة فللعلماء فيه ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: أن الخلافة تكون عن الله تعالى فيقال في الخليفة: (خليفة الله)، وهو ما حكاه الماوردى في الأحكام السلطانية عن بعضهم لقيامه بحقوقه تعالى في خلقه احتجاجًا بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾[1]، ثم قال: وامتنع جمهور الفقهاء من ذلك ونسبوا قائله إلى التجوز، محتجين بأنه إنما يستخلف من يغيب أو يموت، وذكر الشيخ محي الدين النووى ﷺ في كتابه الأذكار نحوه، وقال: ينبغي أن لا يقال للقائم بأمر المسلمين (خليفة الله)، ويؤيد ذلك ما حكي أنه قيل لأبي بكر الصديق ا: يا خليفة الله! فقال: (لست بخليفة الله، ولكني خليفة رسول الله ﷺ). وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: يا خليفة الله! فقال: (ويلك لقد تناولت متناولًا بعيدًا؛ إن أمي سمتني عمر، فلو دعوتني بهذا الاسم قبلت، ثم وليتموني أموركم فسميتموني أمير المؤمنين، فلو دعوتني

(١) سورة الأنعام الآية (١٦٥).

بذلك كفاك). وأجاز البغوى ذلك في حق آدم وداود عليهما السلام دون غيرهما محتجًا بقوله تعالى في حق آدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، وبقوله في حق داود: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾[1]، قال: ولا يسمى أحد خليفة الله بعدهما.. وأجاز الزمخشري في تفسيره ذلك في سائر الأنبياء عليهم السلام.

المذهب الثاني: أن الخلافة تكون عن رسول الله ﷺ، فيقال فيه: خليفة رسول الله ﷺ ؛ لأنه خلفه في أمته، وعليه ينطبق كلام الماوردى في الأحكام السلطانية، والنحاس في صناعة الكتابة، وعلى ذلك خوطب أبو بكر رضي الله عنه بخليفة رسول الله ﷺ، وقد تقدم في المذهب الأول أنه لما قيل له: يا خليفة الله! قال: (لست بخليفة الله، ولكني خليفة رسول الله ﷺ، وعلى ذلك ينطبق كلام البغوي في شرح السنة، حيث قال: (الخليفة وخليفة رسول الله)، وتبعه النووي على ذلك في الروضة.

المذهب الثالث: أن الخلافة قد تكون عن الخليفة قبل ذلك الخليفة، فيقال فلان خليفة فلان واحد بعد واحد، حتى ينتهى إلى أبي بكر ا، فيقال فيه: خليفة رسول الله ﷺ، وعلى ذلك خوطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أول أمره بخليفة (خليفة) رسول الله ﷺ[2].

---

(١) سورة ص الآية (٢٦).

(٢) مآثر الإنافة في معالم الخلافة، أحمد بن عبد الله القلقشندي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار النشر / مطبعة حكومة الكويت - الكويت - ١٩٨٥م، الطبعة: الثانية، (ص ٥-١٠) بتصرف.

وقال محمد عمارة: (الخلافة): من أول المصطلحات -من حيث الظهور- في واقع التجربة السياسية بدولة المدينة، هو مصطلح.. ولقد أطلق المسلمون هذا المصطلح على نظام الحكم الجديد، على نحو تميز بالعفوية، ودونما إعمال للبحث والتنقيب والموازنة والاختيار.. فلقد كان الرسول ﷺ يتولى، علاوة على النبوة والتبليغ عن السماء «أمر» الأمة، أي: سياستها وحكومتها.. وعندما اختاره الله إليه؛ كان المطروح في سقيفة بني ساعدة هو استخلاف خليفة يخلف الرسول في هذا «الأمر».. ولقد طرح أبو بكر يومئذٍ هذه القضية بكلماته التي قال فيها: (إن محمدًا قد مضى بسبيله، ولابد لهذا الأمر من قائم يقوم به، فانظروا، وهاتوا آراءكم يرحمكم الله)[1].. ولما نظروا، واختاروه وبايعوه كان ذلك استخلافًا، وكان النظام الذي أسسوه خلافة للرسول ﷺ في «أمر» الأمة، وكان أبو بكر «خليفة رسول الله».

ويؤكد العفوية في اختيار المصطلح، وانبعاثه من واقع الحال السياسي انفصام الصلة بين مدلول هذا المصطلح هنا وبين المعنى الذي دلت عليه مادته في القرآن الكريم.

فداود عليه السلام في القرآن «خليفة» ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾. ولكن المراد بخلافة داود هنا هي: خلافة الله، أي: النبوة، أو خلافة من سبقه في

(١) الشهرستاني «نهاية الإقدام في علم الكلام» ص٤٧٩. تحقيق ألفرد جيوم «طبعة دون تاريخ، ودون مكان الطبع».

ملك بني إسرائيل، فتكون: الملك[١].. ولم يكن كذلك أبو بكر ﷺ ولا منصبه، فلم تكن خلافته نبوةً ولا ملكًا.

والناس في القرآن «خلفاء» و«خلائف» و«مستخلفون» قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[٢]، وقال: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[٣]، وقال: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ ﴾[٤].

ولكن الخلافة هنا هي عن الله في عمارة الأرض، أو خلافة اللاحقين للمتقدمين، وهي الوظيفة الإنسانية العامة لبني الإنسان، وليست الوظيفة السياسية المحددة لصاحب السلطة ورئيس الدولة الذي اختاره المسلمون يوم وفاة الرسول، وأسسوا باختياره نظام حكمهم هذا[٥].

---

(١) الماوردي «أدب القاضي» جـ١ ص١١٧، ١١٨. تحقيق محمد هلال السرحان. طبعة بغداد سنة ١٩٧١م.

(٢) سورة النور الآية (٥٥).

(٣) سورة الأعراف الآية (١٢٩).

(٤) سورة الأنعام الآية (١٣٣).

(٥) نظرية الخلافة، السلفية، الثورة، الفرق الإسلامية «مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية والإسلامية»، تأليف: محمد عمارة مصطفى عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة: الأولى ١٩٨٦م، (ص ٨-٩).

ثانياً معنى (خليفة):

قال الخزاعي: معنى الخليفة: قال الفخر الرازي: الخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه[١]. وقال الفارابي: خلفه يخلفه -بفتح اللام في الماضي، وضمّها في المستقبل-[٢]. وفي «صناعة الكتابة» لابن النحاس: وعلى هذا خوطب الصديق رضي الله تعالى عنه فقيل له: يا خليفة رسول الله. انتهى. وفي (اختصار الزجاجي لزاهر ابن الأنباري)[٣]: الأصل في الخليفة: خليف بغير هاء، فدخلت الهاء للمبالغة في مدحه بهذا الوصف كعلّامة ونسّابة وراوية وما أشبه ذلك. انتهى[٤].

وقال خلاف: الإمامة الكبرى والخلافة وإمارة المؤمنين ألفاظ مترادفة على معنى واحد رسمه العلماء بأنه رياسة عامة في الدين والدنيا قوامها النظر في المصالح وتدبير شئون الأمة وحراسة الدين وسياسة الدنيا[٥].

وقال عبد الحي الكتاني: الخلافة هي الرياسة العظمى، والولاية العامة الجامعة، القائمة بحراسة الدين والدنيا، والقائم بها يسمّى (الخليفة)؛ لأنه خليفة

---

(١) تفسير الفخر الرازي المسمى (مفاتيح الغيب)، (ج١ص٢٥٧).

(٢) (ديوان الأدب) (ج٢ص١١٩).

(٣) النص في الزاهر نفسه ٢: ٢٤١.

(٤) تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، علي بن محمد بن أحمد بن موسى ابن مسعود، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين، الخزاعي (المتوفى: ٧٨٩هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ، (ص٤٨-٤٩).

(٥) السياسة الشرعية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية، تأليف: عبد الوهاب خلاف (المتوفى: (المتوفى: ١٣٧٥هـ)، دار القلم، الطبعة: ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م، (ص: ٥٩).

عن رسول الله ﷺ، و(الإمام)؛ لأن الإمامة والخطبة في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين لازمة له، لا يقوم بها غيره إلا بطريق النيابة عنه؛ كالقضاء والحكومة، ويسمّى أيضًا (أمير المؤمنين)، وهو الوالي الأعظم لا والي فوقه، ولا يشاركه في مقامه غيره، وأول خلافة انعقدت على حقيقتها ووجهها في الأرض: خلافة أبي بكر[1].

الخلافة لا تكون إلا برضا واختيار من الناس:

هذا شرط من شروط صحة الخلافة الراشدة؛ فلابد من رضا الناس عمن يتولى أمرهم، والمقصود بالرضا هنا رضا أهل الشوكة والمنعة وهم من كان لرضاه أثر في استقرار البلاد، وحفظ أمن الناس، وحفظ الدين، وهذا أمر متغير حسب واقع كل بلد.

قال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله عن بيعة الصديق ا: وأبو بكر بايعه المهاجرون والأنصار الذين هم بطانة رسول الله ﷺ، والذين بهم صار للإسلام قوة وعزة، وبهم قهر المشركون، وبهم فتحت جزيرة العرب؛ فجمهور الذين بايعوا رسول الله ﷺ هم الذين بايعوا أبا بكر، وأما كون عمر أو غيره سبق إلى البيعة؛ فلابد في كل بيعة من سابق، ولو قدر أن بعض الناس كان كارهًا للبيعة لم يقدح ذلك في مقصودها.

---

(١) التراتيب الإدارية = نظام الحكومة النبوية، محمد عَبْد الحَيّ الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (ت ١٣٨٢هـ)، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم - بيروت، الطبعة الثانية، (١/ ٧٩).

ثم بيّن أن بيعة الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ إنما تمت برضا الصحابة، ولم تكن بمجرد استخلاف أبي بكر له، فقال: ولو قدر أن عمر وطائفة معه بايعوه، وامتنع سائر الصحابة عن البيعة لم يصر إمامًا بذلك، وإنما صار إمامًا بمبايعة جمهور الصحابة الذين هم أهل القدرة والشوكة، ولهذا لم يضر تخلف سعد بن عبادة؛ لأن ذلك لا يقدح في مقصود الولاية، فإن المقصود حصول القدرة والسلطان اللذين بهما تحصل مصالح الإمامة، وذلك قد حصل بموافقة الجمهور على ذلك، فمن قال: إنه يصير إمامًا بموافقة واحد أو اثنين أو أربعة، وليسوا هم ذوي القدرة والشوكة؛ فقد غلط كما أن من ظن أن تخلف الواحد أو الاثنين والعشرة يضره فقد غلط.

ثم انتقل للحديث عن بيعة عثمان ﷺ فقال: عثمان لم يصر إمامًا باختيار بعضهم، بل بمبايعة الناس له، وجميع المسلمين بايعوا عثمان بن عفان، ولم يتخلف عن بيعته أحد أوكد بيعةً من عثمان وكانت بإجماعهم، فلما بايعه ذوو الشوكة والقدرة صار إمامًا، وإلا فلو قدر أن عبد الرحمن بايعه، ولم يبايعه علي ولا غيره من الصحابة أهل الشوكة؛ لم يصر إمامًا.

ثم توسع / في بيان اضطراب الناس في خلافة بيعة علي بن أبي طالب ﷺ فقال:

١. قالت طائفة: إنه إمام، وإن معاوية إمام، وإنه يجوز نصب إمامين في وقت إذا لم يمكن الاجتماع على إمام واحد، وهذا يحكى عن الكرامية وغيرهم.

٢. وقالت طائفة: لم يكن في ذلك الزمان أمام عام، بل كان زمان فتنة، وهذا قول طائفة من أهل الحديث البصريين وغيرهم، ولهذا لما أظهر الإمام أحمد التربيع بعلي في الخلافة، وقال: (من لم يربع بعلي في الخلافة؛ فهو أضل من حمار أهله)؛ أنكر ذلك طائفة من هؤلاء، وقالوا: (قد أنكر خلافته من لا يقال: هو أضل من حمار أهله) يريدون من تخلف عنها من الصحابة.

٣. وقالت طائفة ثالثة: بل علي هو الإمام، وهو مصيب في قتاله لمن قاتله، وكذلك من قاتله من الصحابة -كطلحة والزبير- كلهم مجتهدون مصيبون، وهذا قول من يقول: كل مجتهد مصيب، كقول البصريين من المعتزلة أبي الهذيل، وأبي علي، وأبي هاشم، ومن وافقهم من الأشعرية -كالقاضي أبي بكر، وأبي حامد- وهو المشهور عن أبي الحسن الأشعري..[1].

والمهم في بيعة علي ﷺ أن عامة من بايعه هم ممن بايع من قبله من الخلفاء الراشدين ﷺ من المهاجرين والأنصار، وأن الإمام أحمد هو من أظهر التربيع بعليّ، وإلا فبعض أهل الحديث توّقف في ذلك لتوقف بعض الصحابة، ولكن أحمد رحمه الله جعله من صلب عقيدة أهل السنة.

وقال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله في موضع آخر: وأحمد بن حنبل مع أنه أعلم أهل زمانه بالحديث احتج على إمامة علي بالحديث الذي في السنن: «تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة، ثم تصير ملكًا»، وبعض الناس ضعف هذا الحديث،

(١) منهاج السنة (١/ ٥٣٧).

لكن أحمد وغيره يثبتونه، فهذا عمدتهم من النصوص على خلافة علي، فلو ظفروا بحديث مسند أو مرسل موافق لهذا؛ لفرحوا به[١].

الخليفة الراشد الخامس:

في الغالب أنه إذا اطلق (الخليفة الخامس) يذهب الذهن لعمر بن عبد العزيز مع أن النص النبوي السالف الذكر يحدد الخلافة على منهاج النبوة بثلاثين سنة، كما في السنن، وعند الإمام أحمد: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء -أو ملكه- من يشاء»[٢] فالحسن بن علي مقصود في هذا الحديث؛ فقد بويع بعد قتل أبيه بالخلافة، بايعه أهل الكوفة، وكانوا تسعين ألفًا أو نحوها، وأطاعوه وأحبوه أشد من حبهم لأبيه، فبقي فيها ستة أشهر أو سبعة.. أو نحو ذلك؛ فتمت بها خلافة النبوة ثلاثين سنة. ثم إنه صالح معاوية سنة إحدى وأربعين بسواد الكوفة، فسمي عام الجماعة، وسلّم الأمر إليه، وكان هذا هو الصلح الذي أشار إليه رسول الله ﷺ.

وقال ابن كثير رحمه الله: والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أوردناه في دلائل النبوة من طريق سفينة مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكًا..»، وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة

---

(١) منهاج السنة (٧/ ٥٠).

(٢) عن سفينة رضي الله عنه، أخرجه أبو داود (٤/ ٢١١، رقم ٤٦٤٦)، والحاكم (٣/ ٧٥، رقم ٤٤٣٨)، وأخرجه أيضًا: الطبراني (٧/ ٨٤، رقم ٦٤٤٤) وانظر صحيح الجامع (ح٣٢٥٧).

إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليمًا[1].

سمات شخصية الخلفاء الراشدين:

١- أنهم خواص حملة هذا الدين للأمة.

٢- حفظ القرآن الكريم ونشره.

٣- أنهم خيرة وسنام خير القرون.

٤- الخلفاء رضي الله عنهم مجتهدون في الشرع.

٥- الخلفاء الراشدون أحد مصادر التشريع: فعامة العلماء على الأخذ بقول الصحابي بشكل عام، ولكن للخلفاء الراشدين مزية فقد قال ﷺ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[2]، والمراد بسنَّة الخلفاء الراشدين: ما أفتى به، أو أمر، وشرع الخلفاءُ الراشدون، أو أحدُهم؛

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث (٨/ ١٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٢٦، رقم ١٧١٨٤)، وأبو داود (٤/ ٢٠٠، رقم ٤٦٠٧)، والترمذى (٥/ ٤٤، رقم ٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١/ ١٥، رقم ٤٢)، والحاكم (١/ ١٧٤، رقم ٣٢٩) وقال: صحيح ليس له علة. والبيهقى (١٠/ ١١٤، رقم ٢٠١٢٥). وأخرجه أيضًا: ابن حبان (١/ ١٧٨، رقم ٥)، والدارمى (١/ ٥٧، رقم ٩٥)، وانظر صحيح الجامع (ح٢٥٤٩).
وانظر ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» ص٤٨٢ -٤٨٣، والبغوي في «شرح السنة» (١٠٢) وحسنه .

للأمَّة، وجمعوا الناس عليه، ولم يخالف نصًّا، وإن لم يتقدم من النبي ع فيه شيءٌ[١]، قال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله: (والذي لا ريب فيه أنَّه حجة: ما كان من سنَّة الخلفاء الراشدين الذي سنُّوه للمسلمين، ولم ينقل أنَّ أحدًا من الصحابة خالفهم فيه؛ فهذا لا ريب أنَّه حجَّة؛ بل إجماع.. وقد دلَّ عليه قول النبي ع: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِيْ..»)[٢].

٦- عمل الخلفاء الراشدين يعدّ من مرجحات معاني المنقول عن النبي ﷺ عند اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم فيه[٣].

قال الدكتور سعد العتيبي: قرن سنة خلفائه الراشدين بسنته، وأمر باتباعها كما أمر باتباع سنته، وأنَّ سنتهم في طلب الاتباع كسنَّة النَّبي ﷺ: «وبالغ في الأمر بها حتى أمر بأنَّ يُعض عليها بالنواجذ؛ وهذا يتناول ما أفتى به جميعهم، أو أكثرهم، أو بعضهم؛ لأنَّه علّق ذلك بما سَنَّه الخلفاء الراشدون، ومعلوم أنَّهم لم يسنُّوا ذلك وهم خلفاء في آن واحد؛ فعلم أنَّ ما سنَّهُ كل واحد منهم في وقته فهو من سنَّة الخلفاء الراشدين»[٤]؛ ولو خالفه غيره من الصحابة كان المصير إلى قوله

(١) إعلام الموقعين، لابن القيم:٤/ ١٧٦؛ وجامع العلوم والحكم، لابن رجب:٢/ ١٢٣- ١٢٦ .
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية:٢٠/ ٥٧٣-٥٧٤ .
(٣) سنة الخلفاء الراشدين - بحث في المفهوم والحجية، لزيد بو شعراء:٣٠٦.
(٤) إعلام الموقعين:٤/ ١٧٦؛ وينظر: الاعتصام، للشاطبي:١/ ٨٧-٨٨ .

أولى[١]؛ لأنَّ رأيهم أقوى من رأي غيرهم، وهم أعرف بالمقاصد الشرعية؛ فهم القدوة في فهم الشريعة، وما يجري على مقاصدها[٢].

هل الخلافة الراشدة محصورة في زمن معين؟

الذي عليه عامة أهل العلم بل عامة الناس أن الخلافة الراشدة محصورة بزمن الثلاثين عامًا كما مر بنا في الخبر، ووجدت بحثًا لأحد الأساتذة يرى فيه أن الخلافة ليست محصورة في وقت معين، بل بوصف، وهو الرشد، ومما قاله: فمن أراد أن يكون مهديا فعليه أن لا يتبع إلا الوحي، أما رأيه فليس بهدى ولا رشد. ولا يوجد في القرآن الكريم ما يصرف هذا المعنى إلى جيل بعينه أو فترة خاصة، ولا إلى معنى شرعي.. وجاء في الحديث: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِي الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[٣]. فهذا الحديث لا يدل على حصر الخلفاء الراشدين بـ(الأربعة الأوائل)، وإنما بكل من اتصف بالرشد في حكمه، ثم إن كلمة (بعدي) مفتوحة على الزمن إلى قيام الساعة، ومن استقراء التاريخ وجد الكثير من الحكام ممن اتصفوا بالرشد والرشاد في حكمهم، وقد يحصل من بعض الملوك من اتباع السنة ونشر الشريعة والجهاد في سبيل الله

(١) معالم السنن:٧/ ١٢ .

(٢) أضواء على السياسة الشرعية – د. سعد بن مطر العتيبي – بتصرف .

(٣) صحيح، تقدم تخريجه.

مثل ما يحصل في زمن الخلفاء، كما كان في عهد عمر بن عبد العزيز، والوليد وسليمان بن عبد الملك.. إلخ، وهذا يتناسب مع حديث أبي هريرة السالف مرفوعًا: «وستكون خلفاء فيكثرون»[1]، ثم يختم الأستاذ كلامه بقوله: ..وبناءً على ما تقدم فمن الخطأ أن نحصر الخلافة الراشدة بالخلفاء الأربعة الأوائل، وهذا عينه ما يريده الأعداء وأشياعهم وأبواقهم من أبناء هذه الأمة المغرضين الذين يقولون بأن الخلافة قد انتهت بمقتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وأن على المسلمين أن يأخذوا ما شاءوا من أنظمة من هنا وهناك، فلا تعطوهم هذه الفرصة ليطعنوا بالخلافة التي كانت ساطعة كالشمس للدنيا لا ينكرها إلا جاهل أو منافق أو عدو حاقد. ثم إن أكثر العلماء المعتبرين القدماء والمحدثين قد ذكروا أن الخلافة هي تاج الفروض، فهي الوعاء الذي يحفظ أحكام الإسلام والحارس عليها وعلى وحدة الأمة[2].

والأظهر هو ما عليه عامة أهل العلم أن الخلافة انقطعت بموت الحسن بن علي ب، وهذا لا يمنع من وجود حكام على طريق الرشد ساروا؛ فنصروا الدين وحفظوا حقوق الخلق.

أما لفظ الخلافة بشكل عام فهذا يمكن أن يطلق بشكل أوسع، وبهذا المعنى العام جاء الحديث الشريف: «لا يزال هذا الدينُ عزيزًا منيعًا إلى اثنَيْ عشر خليفةُ

(١) البخاري برقم:٣٤٥٥ ومسلم برقم ١٨٤٢ .

(٢) شبكة الناقد الإعلامي ما المقصود بالخلافة الراشدة: دراسة جديدة ورؤيا متميزة – داود العرامين – الإثنين، ٢١ كانون٢/ يناير ٢٠١٣ – ١٢:١٧.

-فقال كلمةً صمّنِيها الناسُ- فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كُلّهم من قريشٍ»[١]، قال الحافظ ابن كثير: (ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفةً صالحًا يقيم الحق ويعدل فيهم، ولا يلزم من هذا تواليهم، وتتابع أيامهم، بل قد وجد منهم أربعة على نسق، وهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ي، ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة، وبعض بني العباس. ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة، والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث..)[٢].

وقال في موطن آخر: (وقد وقعت البشارة بهم في الكتب المتقدمة، ثم لا يشترط أن يكونوا متتابعين، بل يكون وجودهم في الأمة متتابعًا ومتفرقًا، وقد وجد منهم أربعة على الولاء، وهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ي. ثم كانت بعدهم فترة، ثم وجد منهم ما شاء الله، ثم قد يوجد منهم من بقي في وقت يعلمه الله.)[٣].

وقال سماحة الشيخ ابن باز معلقًا: (وأما ما قاله الحافظ إسماعيل بن كثير أن المهدي يمكن أن كون أحد الأئمة الاثني عشر؛ فهذا: محل نظر. فإن الرسول ﷺ قال: «لا يزال أمر هذه الأمة قائمًا ما ولي عليهم اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش»، فقوله: لا يزال أمر هذه الأمة قائمًا: يدل على أن الدين في زمانهم قائم،

(١) مسلم برقم:١٨٢١ .
(٢) تفسير ابن كثير - سامي بن محمد سلامة -دار طيبة -الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ٣/ ٦٦ .
(٣) السابق ٦/ ٧٨ .

والأمر نافذ، والحق ظاهر، ومعلوم أن هذا إنما كان قبل انقراض دولة بني أمية، وقد جرى في آخرها اختلاف تفرّق بسببه الناس، وحصل به نكبة على المسلمين، وانقسم أمر المسلمين إلى خلافتين: خلافة في الأندلس، وخلافة في العراق، وجرى من الخطوب والشرور ما هو معلوم. والرسول ﷺ قال: «لا يزال أمر هذه الأمة قائمًا»، ثم جرى بعد ذلك أمور عظيمة حتى اختل نظام الخلافة، وصار على كل جهة من جهات المسلمين أمير وحاكم وصارت دويلات كثيرة، وفي زماننا هذا أعظم وأكثر. والمهدي حتى الآن لم يخرج، فكيف يصح أن يقال: إن الأمر قائم إلى خروج المهدي؟ هذا لا يمكن أن يقوله من تأمل ونظر. والأقرب في هذا كما قاله جماعة من أهل العلم: أن مراد النبي ع بهذا الحديث هم: الخلفاء الأربعة، ومعاوية ي، وابنه يزيد، ثم عبد الملك بن مروان، وأولاده الأربعة، وعمر بن عبد العزيز؛ فهؤلاء اثنا عشر خليفة. والمقصود أن الأئمة الاثني عشر في الأقرب والأصوب ينتهي عددهم بهشام بن عبد الملك، فإن الدين في زمانهم قائم، والإسلام منتشر والحق ظاهر والجهاد قائم، وما وقع بعد موت يزيد من الاختلاف والانشقاق في الخلافة، وتولي مروان في الشام وابن الزبير في الحجاز، لم يضرّ المسلمين في ظهور دينهم، فدينهم ظاهر وأمرهم قائم وعدوهم مقهور مع وجود هذا الخلاف الذي جرى، ثم زال بحمد الله بتمام البيعة لعبد الملك واجتماع الناس بعد ما جرى من الخطوب على يد الحجاج وغيره)[1].

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله- محمد بن سعد الشويعر - ٤/ ١٠٠ .

نظرة في حركة ابن الزبير:

ذهب الحافظ ابن حجر رحمه الله أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما من عداد هؤلاء الخلفاء حيث قال: (فالأولى أن يحمل قوله: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة» على حقيقة البعدية؛ فإن جميع من ولي الخلافة من الصديق إلى عمر بن عبد العزيز أربعة عشر نفسًا، منهم اثنان لم تصح ولايتهما، ولم تطل مدتهما، وهما معاوية بن يزيد، ومروان بن الحكم، والباقون اثنا عشر نفسًا على الولاء، كما أخبر ﷺ، وكانت وفاة عمر بن عبد العزيز سنة إحدى ومائة، وتغيرت الأحوال بعده، وانقضى القرن الأول الذي هو خير القرون، ولا يقدح في ذلك قوله: «يجتمع عليهم الناس»؛ لأنه يحمل على الأكثر الأغلب لأن هذه الصفة لم تفقد منهم إلا في الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير مع صحة ولايتهما، والحكم بأن من خالفهما لم يثبت استحقاقه إلا بعد تسليم الحسن، وبعد قتل ابن الزبير، والله أعلم، وكانت الأمور في غالب أزمنة هؤلاء الاثني عشر منتظمة، وإن وجد في بعض مدتهم خلاف ذلك فهو بالنسبة إلى الاستقامة نادر، والله أعلم)[1].وكذلك نعت الذهبي ابن الزبير بأمير المؤمنين [2].

محاولة ابن الزبير رضي الله عنهما:

حاول ابن الزبير إعادة الخلافة راشدةً كما كانت، ولكنه فشل في ذلك؛ فما هي الأسباب؟

---

(١) فتح الباري ١٣/ ١٨٢ .

(٢) السير ٣/ ٣٦٣،ثم ذكر أن بعض أهل العلم لا يعده من الخلفاء وعدوا دولته زمن فتنة.

نبدأ بذكر مؤهلات ابن الزبير الشخصية:

١. ابن حواري رسول الله.

٢. وأمه ذات النطاقين بنت الصديق، وخالته عائشة.

٣. وكان من القانتين لله المتمسكين بطاعته، وكان إذا سجد وقفت العصافير على ظهره تصعد، وتنزل لا تراه إلاّ جذم حائط.

٤. عرف بالجلد وقوة العزيمة والصبر.

٥. وكان إلى هذا ذا أنفة، وكانت له نفس شريفة.

٦. كما كان فصيحًا قوي البيان جهوري الصوت إذا خطب تجاوبه أصداء أبي قبيس.

٧. ولقد كان شجاعًا، وحسبك أن تعلم أن الأمويين كانوا يحملون على باب من أبواب المسجد، فيشد عليهم ابن الزبير -وليس معه أحد- حتى يخرجهم منه إلى الحجون.

فما هي أبرز أسباب الفشل:

١. استغلال بني أمية للعصبيات القبلية اليمنيةالقيسية (وهو ما يسمى بكسب الولاءات).

٢. انشغاله ﷺ بمناجزة الخوارج والشيعة في العراق مما أوهن قوته.

٣. إمساك ابن الزبير في الأموال، فلا يعطي أحدًا للدنيا، ومضى الأمويون في طلائعهم بذر الأموال حتى بلغت قادة ابن الزبير، فانحلت عرى الزبيريين.. بل لقد تخلى عنه حتى ولداه حمزة وخبيب.

٤. الضيق الشديد الذي أصاب أهل مكة بسبب الحصار حتى أصابتهم المجاعة.

٥. أراد حمل الناس على الأكمل والأقوى وأكثر الناس لا يطيق.

٦. كان الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير ﷺ شجاعًا عابدًا فقيهًا، ولكن لم يكن الرجل الفذ الذي يستطيع أن يضطلع بأمور المسلمين.

الحكم حسن السياسة:

أوضح هذه الفكرة بوصف ابن عمر ﷺ لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ بحسن السياسة حتى جعله خيرًا من أبيه!

فقد روى ابن الأثير في أسد الغابة عن عبد الله بن عمر ﷺ أنه قال: (ما رأيت أحدًا أسود من معاوية. قيل: ولا عمر؟ قال: كان عمر خيرًا منه، وكان معاوية أسود منه)[1].

(١) ابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ١٣٧)، وانظر حلم معاوية لابن أبي الدنيا (١١) والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (١/ ٣٧٩) والسنة للخلال (٢/ ٤٤١-٤٤٤) ومعجم البغوي (٥/ ٣٦٩) والطبقات لأبي عروبة الحراني (ص٤١) ومكارم الأخلاق للخرائطي (١/ ٥٧٠) والمعجم الكبير (١٢/ ٢٩٦) والأوسط للطبراني (٧/ ٣١) وابن عدي (٦/ ١١٠) واللالكائي (٨/ ١٤٤٣) وابن عساكر (٥٩/ ١٧٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٢).
قال ابن تيمية في منهاج السنة (٤/ ٤٤٤): «قولُه في مدح معاوية **معروفٌ ثابتٌ** عنه».. (فذَكرَه)، ونقله الذهبي في المنتقى من المنهاج (ص٢٥٨).

ورواه أبو سفيان الحميري، عن العوام بن حوشب به، قال: «ما رأيت أحدًا بعد رسول الله ﷺ أسود من معاوية. قيل: ولا أبا بكر؟ قال: كان أبو بكر وعمر وعثمان خيرًا منه، وهو أسود منهم». وروي من طرق عن ابن عمر مثله[١].

ويروي الطبري مرفوعًا إلى عبد الله بن عباس قوله: (ما رأيت أحدًا أخلق للملك من معاوية، إن كان ليرد الناس منه على أرجاء وادٍ رَحْب)[٢].

وذُكِرَ عمر بن عبد العزيز عند الأعمش فقال: (فكيف لو أدركتم معاوية؟ قالوا: في حلمه، قال: لا والله! في عدله)[٣].

ويقول ذهبي الإسلام: (وحَسْبُك بمن يؤمِّره عمر، ثم عثمان على إقليم فيضبطه، ويقوم به أتم قيام، ويُرضي الناس بسخائه وحلمه، فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله وفَرْط حلمه وسعة نفسه، وقوه دهائه ورأيه..)[٤].

فصحة الموقف، ونبل الأخلاق، وجميل المقصد؛ ليس هو سبيل الحكم؛ بل حسن سياسة الناس.

---

(١) منهاج السنة ٤/ ٤٤٤ والبداية والنهاية ١١/ ٤٣٨ والاستيعاب ٣/ ١٤١٨ والسير ٣/ ١٥٢

(٢) رواه معمر (٢٠٩٨٥) ومن طريقه ابن سعد (١/ ١٢١ السلومي) والبخاري في التاريخ (٧/ ٣٢٧) وابن قتيبة في الغريب (٢/ ٣٥٣) وابن أبي عاصم (١/ ٣٧٨) والطبري في تاريخه (٥/ ٣٣٧) والخلال (٢/ ٤٤٠) والبغوي (٥/ ٣٧٣) وإسماعيل الصفار في جزئه (٦٢) وابن عساكر (٥٩/ ١٧٤) بسند صحيح عن ابن عباس.

(٣) انظر فضائل وأخبار معاوية دراسة حديثية (ص:٤٠)، تأليف: محمد زياد بن عمر التكلة، **صححه**، وقال: رواه الأثرم (منهاج السنة ٦/ ٢٣٣) ومن طريقه الخلال في السنة (٢/ ٤٣٧)، وإسناده كوفي.

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٣٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: (.. والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام)[١].

أبرز الفروق بين الخلافة والملك:

اعتاد بعض المثقفين -بل وطلاب العلم- على ذم الملك مطلقًا، والصحيح أن الملك لا يذم من كل وجه كما يظن البعض، فقد وصف الله بعض الأنبياء بالملك فقال سبحانه: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾[٣].

كما أن عمر بن الخطاب سأل سلمان عن الفرق بين الخليفة والملك؟ فقال سلمان ا: (إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهمًا أو أقل أو أكثر، ثم وضعته في غير حقه؛ فأنت ملك، أما الخليفة فهو الذي يعدل في الرعية، ويقسم بينهم بالسوية، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهل بيته، والوالد على ولده، ويقضي بينهم بكتاب الله)[٤].

وقد فرّق ابن خلدون / بين الخلافة والملك، فقال: لما كانت حقيقة الملك أنه الاجتماع الضروري للبشر، ومقتضاه التغلب والقهر -اللذان هما من آثار

(١) السياسية الشرعية – ابن تيمية – ت: علي العمران – دار عالم الفوائد – ١٨.
(٢) سورة البقرة الآية (١٠٢).
(٣) سورة البقرة الآية (٢٥١).
(٤) ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣/ ٣٠٦ وهو خبر ضعيف.

الغضب والحيوانية- كانت أحكام صاحبه في الغالب جائرة عن الحق، مجحفة بمن تحت يده من الخلق في أحوال دنياهم، لحمله إياهم في الغالب على ما ليس في طوقهم من أغراضه وشهواته.. ثم قال: وأما الخلافة فهي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها؛ إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسية الدنيا به[1].

فحفظ الدين هو أبرز معالم الخلافة الراشدة.. مع العدل.. والرحمة بالخلق..

أسباب سقوط خلافة بني أمية:

تكمن أهمية هذا الموضوع أن من قرأ التاريخ وعرف أسباب سقوط الدول تجنبها ما أستطاع إلى ذلك سبيلا ... وقد تحدث الأستاذ الدكتور عبدالحليم عويس عن أسباب سقوط الدول في كتابه المتاع «دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية" عن أسباب سقوط ثلاثين دولة ومما قاله: (إن هذا الكتاب يتناول أوراقا ذابلة من حضارتنا من خلال تركيزه على سقوط دول إسلامية بعضها كان درسا أبديا حين كانت الأمراض خبيثة وفتاكة، وحينما ذهبنا نطلب الدواء من عدونا . فكانت فرصته لإعطائنا السموم القاتلة . .)[2]، وقد تناول ابن خلدون أيضا أسباب سقوط الدول في مقدمته واستظهر أسبابا لهذا منها:الترف وجعله أعظم الأسباب،واتخاذ بطانة السوء دون بطانته التي قامت عليها

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٧٨.

(٢) دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية – ا.د.عبدالحليم عويس – ٢

الدولة،الاستبداد بالسطلة وتضييق دائرة الحكم[١]،بل لقد استشرف ابن خلدون سقوط الأندلس بسبب تقليدهم من غلب عليهم فقال ضمن كلام طويل: كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة ، فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم ، حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت ، حتى لقد يستشعر عن ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء ، والأمر لله ...[٢].

وقد نقل ابن عبدالبر نقلا عزيزا يظهر أهم أسباب سقوط الدول فقال: (سئل رجل من بنى أميه: أخبرنا أى شئ كان بدء زوال ملككم؟ فقال سألت فاسمع، وإذا سمعت فافهم: تشاغلنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا، ووثقنا بوزراء آثروا مرافقهم على منافعها، وأبرموا أموراً أسروها عنا، فظُلمتْ رعيتنا، ففسدت نياتهم لنا، وجدب معاشنا فخلت بيوت أموالنا، وقل جندنا فزالت هيبتنا، واستدعاهم أعداؤنا فظاهروهم علينا، وكان أكثر الأسباب في ذلك استتار الأخبار عنا..)[٣].

(١) مقدمة ابن خلدون – ٨٥ وما بعدها

(٢) مقدمة ابن خلدون – ٧٣

(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس – ابن عبدالبر – ٧٦

هل يجب على المسلم السعي لإعادة الخلافة؟

كتب الكثير من المفكرين الإسلاميين حول أهمية السعي لإعادة الخلافة بل عدها بعضهم من واجبات الدين وفروض الملة!!. [١].

وأتصور لو أنهم سعوا لما هو أهم من نشر التوحيد الخالص،والفقه في الدين،والخلق الإسلامي الصحيح،والوعي بحقيقة هذا الدين لكان خيرا من ضياع الأوقات في السعي في شيء كوني،وإذا قامت الخلافة الراشدة في زماننا فالحمد لله على هذه النعمة وإلا فإن الله سيسأل كل واحد عما قدمه من نشر الدين والذب عنه وتعليمه ولا يسأله عما هو ليس في مقدوره،والسؤال هنا عن الواجب على الفرد المسلم. والتاريخ يثبت أن الخلافة ما قامت على أيدي المفكرين بل على أيدي حكام أقوياء دانت لهم الشعوب شيئا فشيئا وفتحوا البلاد الواحدة تلو الأخرى، وواقع العلماء والمصلحين لا يسر فضلا عن واقع الشعوب[٢]،فنظرة سريعة على ما يحدث حولنا من حرب مستعرة بين الدعاة والعلماء عرت عن الأخلاق والقيم والمبادئ تظهر مدى البعد عن حقيقة هذا الدين، ومن الغبن أن تقرأ لمن يحصر نهوض الأمة أو تحرير فلسطين بعودة الخلافة !! ولو قال العكس لأصاب[٣].

---

(١) انظر تنبيه الغافلين وإعلام الحائرين بأن إعادة الخلافة من أعظم واجبات هذا الدين لعلي بلحاج،ومجلة الوعي العدد ٣٢٤ محرم ١٤٣٥هـ. وكثير من الردود على علي عبدالرازق ذكرت ذلك.

(٢) انظر كتاب أهل الإسلام والتفلت من ظاهر الالتزام – د.محمد عقيل موسى الشريف.

(٣) فالنبي ﷺ بعد أن ربى الصحابة على التوحيد وحسن الديانة وأدبهم أقام بهم الدولة.

قال الشيخ الألباني: أعجبتني كلمة لبعض المصلحين، وهي في رأيي كأنها من وحي السماء؛ يقول:«أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم، تقم لكم في أرضكم[١] فإقامة الخلافة ليست غاية بحد ذاتها بل هي وسيلة لحفظ الدين ونشره﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[٢].

وفي الختام:

أرجو من الله تعالى أن أكون قد وفقت في هذه المشاركة، وأسأله القبول، والحمد له سبحانه أولاً وآخِرًا.

كما أكرر شكري لراعي هذا المؤتمر، معالي وزير الأوقاف والشئون الإسلامية – بدولة الكويت.

وللأخ رئيس المؤتمر ..... وكافة الأعضاء المشاركين.

وجميع الحضور..

وأملنا في الله تعالى أن يكلل هذا المؤتمر بالنجاح، وتصل ثماره إلى آفاق أوسع.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) التصفية والتربية وحاجة المسلمين إليهما – الألباني – المكتبة الإسلامية – ص٣٣.

(٢) سورة آل عمران الآية (١١٠).

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
لا يستقيم أمر الناس إلا بحاكم	٦
أهمية الخلافة في حياة الناس	٦
واجبات الخليفة تجاه شعبه	٩
المحافظة على دين الله تعالى	٩
٢ـ المحافظة على الآداب العامة	٩
٣ـ رعاية مصالح الأمة	٩
مفهوم الخلافة والخليفة	١٠
أولاً معنى (الخلافة):	١٠
ثانياً معنى (خليفة)	١٦
الخلافة لا تكون إلا برضا واختيار من الناس	١٧
الخليفة الراشد الخامس	٢٠
سمات شخصية الخلفاء الراشدين	٢١
هل الخلافة الراشدة محصورة في زمن معين؟	٢٣
نظرة في حركة ابن الزبير	٢٧
محاولة ابن الزبير رضي الله عنهما إعادة الخلافة	٢٧

أبرز أسباب الفشل	٢٨
الحكم حسن السياسة	٢٩
أبرز الفروق بين الخلافة والملك	٣١
أسباب سقوط دولة بن أمية	٣٢
هل يجب على المسلم السعي لإعادة الخلافة؟	٣٤
وفي الختام	٣٥
المحتويات	٣٦